تعقيبات

فارس الخوري الشاعر :

استفاض الحديث في مصر وفي الشرق العربي ، بل في العالم أجمع عن فارس الخوري ممثل سورية في مجلس الأمن ورئيس المجلس في دورته الحالية ، واستفاض الثناء عاطراً في جميع الدوائر على ما أبدى في هذه الرياسة من أصالة وكياسة ، وشهدت البرقيات التي أذيعت في العالم بأنه « خير من رأس المجلس إلى الآن ، وأنه يدير دفة الاجتماعات بدقة فائقة تتلخص في التقليل من الكلام والإكثار من العمل وحسم الأمور حتى استطاع أن يعمل في ثلاثة أسابيع ما لم يستطعه أحد من رؤساء المجلس السابقين .. » .

وفارس الخوري — بارك الله في حياته — في الثامنة والستين من عمره الآن ، وهو من الزعيل الأول من رجال الوطنية في سورية ، كان محامياً في دمشق ، وكان أستاذاً في كلية الحقوق ، وكان مراراً ، ورئيس وزارة ، ورئيس المجلس النيابي ، وله من أبناء هذا الجيل من يدري أن هذا السياسي المحنك [illegible] طلع حياته من الشعراء النابغين والكتاب البرزين ، وأنه في مطلع هذا القرن ، أي منذ أربعين عاماً ، كان يملأ صحف مصر [illegible] بمنظوماته وكتاباته ، وإني لأذكر له من ذلك تخميساً [illegible] زيدون المشهورة نظمه في سنة ١٩٠٦ وفيه يقول :

الطيف في النوم يرضينا إذا عبرا
إن عزت العين صبرنا نطالب الأثرا
لا تعجبوا إن صبرنا نحمل القدرا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سورا
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا
ترضى [illegible] ان بديل العز أكله والجسم ينحل سقما من تحمله
وتزدا [illegible] لا عن فيض جدوله أما هواك فلم نعدل بمنهله
شرباً وإن كان يروينا فيظمينا
[illegible] وأعرضنا على وصب نكتم الناس ما في القلب من لهب
فما اتخذنا تجافينا بلا سبب ولا اختياراً تجنباك عن كثب
لكن عدتنا على كره عوادينا
ضاقت على رحبها الدنيا فلا سعة تحوي فؤاداً وأحشاءاً مقطعة
نأسى إذا الشمس جازتنا مودعة نأسى عليك إذا حثت مشعشعة
فينا الشمول وغنانا فغنينا
لا شيء يسكن شيئاً من بلابلنا ولا نرجي عزاء من وسائلنا
ظعائن الأنس شالت عن منازلنا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الأوتار تسلينا

وفي سنة ١٩٠٥ قامت الحرب بين روسيا واليابان ، وحدث فيها ما حدث من الوقائع والفظائع ، ومنيت فيها روسيا بهزيمة منكرة لم تكن في الحسبان ، فاتخذ فارس الخوري من مشاهد تلك الحرب الضروس موضوعاً لملحمة شعرية تتألف من أربع قصائد ألم فيها بالأسباب التي دعت إلى إشهار تلك الحرب وذكر المعارك والمواقع البحرية والبرية التي جرت بين الصفر والبيض ، وفتح للانفعالات النفسانية والتخيلات الشعرية مجالا رحباً في الوصف حتى جاءت تلك الملحمة مزيجاً من التقرير التاريخي والخيال الشعري ، ولما كان ولي عهد روسيا يومذاك قد ولد أثناء تلك الحرب فقد ختم ملحمته متوجهاً إليه بهذه الأبيات :

ها أنت تنمو في رعاية والد حان يذود السوء عنك ويطرد
والبعض من أبناء جيلك لا أب يحنو عليهم إن بكوا وتهدوا
آباؤهم سقطوا بساحات الوغى ليوسموا لك دولة ويمهدوا
فإذا نموا وملكت فارفق ذاكراً حق الذين على ولاك استشهدوا
وعساك تنشأ عادلا لا تدعي أن الجميع لأجل عرشك أوجدوا
فالملك جسم والعدالة درعه درع بمحبوك الحديد مسرد
والملك بستان أعز سياجه عدل به ريح المخاوف تركد
يتوقع الإصلاح منك وليتنا نحيا لنعرف ما يجيء به الغد

ولقد تمت الأمنية للشاعر ، فعاش — بارك الله في حياته — حتى رأى ما جاء به الغد ، وعلم ما كان من مصير القيصر وولي العهد ، فتغيرت الدنيا وتبدلت الأوضاع ، فقامت دولة مكان دولة وظهرت شريعة على أنقاض شريعة ، ولكن غريزة الوحش في الإنسان لم تتغير ، فما زال يستعمل نابه وظفره في قتل أخيه

الإنسان ، وماذا كانت تلك الحرب « الروسية اليابانية » أيها الشاعر إلى جانب ما شاهدت ورأيت بعد ذلك من أهوال حربين عالميتين لا تزال آثارهما ماثلة للعيان ، أنت اليوم أيها الشاعر رئيس لمجلس الأمن ، فقل لأندادك في ذلك المجلس من ممثلي الدول : أحقاً أنتم أيها الإخوان حراس الأمن ، أم مبررون للظلم وأن الحقيقة المرة هي كما يقول شوقي :

وعصر بنوه في السلاح وحرصه ... على السلم يجري ذكرها ويدير
ومن عجب في ظلها وهو وارف ... يصادف شعباً آمناً فيغير
ويأخذ من قوت الفقير وكسبه ... ويودي جيوشاً كالحصى ويمير

شيوخ وشبان ...

قال لي الأستاذ العقاد : « إنني لا أفهم معنى لهذا الكلام الذي يقال عن الأدباء الشيوخ والأدباء الشبان ، وإني لأعجب لفئة من الشبان يتهمون الأدباء الشيوخ بأنهم يظلمونهم ويسدون أمامهم باب الشهرة والظهور ، ويصورون المسألة على أنها حزازة بين الفريقين ، وعداوة بين الطائفتين ، إلى آخر ذلك الكلام الذي يثار ويقال ، والواقع أنه ليس هناك أدب شيوخ وأدب شبان ، وإنما هناك أدب قوة وأدب ضعف ، فالقوة هي عامل الظهور والشهرة ، وضمان البقاء والخلود ، ولن يتأتى هذا إلا بالدراسة والاطلاع وبذل الجهد في ذلك إلى آخر ما تحتمله الطاقة ، ولكن إخواننا الشبان يحسبون أن من الكفاية في إدراك هذا قراءة كتاب أو كتابة مقالة في صحيفة ، وهذا هراء في التفكير ، وهراء في التقدير .. » .

« لقد كنا شباناً ، فما وجدنا من أخذ بأيدينا ، أو أفسح لنا الطريق ، ولكننا صمدنا وشققنا طريقنا بدافع القوة والجهد ، ولا زلنا إلى اليوم على هذا ، فأدباء الشيوخ أشد شغفاً بالقراءة والدراسة وبذل الجهد ، وهم يسيطرون على الحياة الأدبية لأنهم يواجهون الحياة الأدبية بما تستحق من حشد القوة وطول الصبر وخير للأدباء الشبان أن يدركوا هذا ، وأن ينصرفوا إلى تقويم شخصياتهم ، وأن يدخروا لأنفسهم قوة من المحصول الثقافي يمكنهم أن ينالوا بها الشهرة التي يريدون .. » .

وإني — وأنا من فريق الشبان — لأوافق الأستاذ الكبير على ما قال ، فالقوة هي ضمان الشهرة والبقاء ، فإذا ملكها الشبان فلن يكون الشيوخ عائقاً أمامهم ، ولكن يظهر أن إخواننا الشبان لا يدركون المسألة على حقيقتها ، ولا يحبون أن يدركوها على حقيقتها ، ويحسبون أن في استطاعتهم الصعود إلى القمة بخطوة قدم ، ويحسبون أن هؤلاء الشيوخ قد بلغوا ما بلغوا من المجد والشهرة بمثل هذه الخطوة ! !

كلا أيها الإخوان ...

لقد حدثني الأستاذ المازني قال : لقد قرأت كتاب الأغاني في مطلع حياتي ، وقد عمدت إلى فك أجزائه إلى ملازم ليسهل عليّ حملها أينما سرت ، وقد عنيت أثناء القراءة بتصحيحه وإكمال القصائد التي فيه ، ونسبة الأبيات المجهولة إلى قائليها والاستدراك على تراجم الشعراء ، وكنت أكتب هذا كله في ورق أبيض وألحقه بالمطبوع ، ثم جلدت الكتاب فكان في ضعف حجمه ، وكانت هذه النسخة عزيزة على نفسي ، ولكني فقدتها في محنة من محن الدهر ، فأورثتني حسرة لا تزال عالقة بقلبي إلى اليوم .

حدثني الأستاذ المازني بهذا الذي صنعه في مطلع شبابه ، وكنت منذ أيام أتحدث إلى أحد الشبان الأدباء عن كتاب الأغاني هذا فشمخ علي قائلا إن من العبث ضياع الوقت في كتاب الأغاني وغيره من تلك الكتب القديمة البالية التي أصبحت لا تجدي ...

مرة أخرى أقول لكم : كلا أيها الإخوان ، إن الأمر أشق مما تقدرون ، فاصرفوا هذا التمرد إلى ما يجدي من الجهد النافع .

سؤال :

في العدد السابق من الرسالة قرأت في مطلع المقال الخامس من تلك السلسلة التي يدبج حلقاتها الأستاذ علي الطنطاوي بعنوان « على ثلوج حزوين » ما يلي :

« أقامت ليلى في دار أسعد شهرين محمولة على الأكف ، مفداة بالأرواح ، قد هيئت لها كل أسباب الرفاهية ، وأحيطت بكل مظاهر الترف ، وسيق لإسعادها كل ما وصلت إليه الحضارة وأبدعه العقل ، فلا ترى إلا جميلا ، ولا تشم إلا طيباً ، ولا تسمع